مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 21 العدد: 46 السّنة: الثّلاثيّ الرّابع 2019 ص: 239 - 278

البعد اللسانيّ التربويّ في متون النحو ومختصراته
ـكتاب الزبيْديّ "الواضح في علم العربيّة"، و"ألفيّة ابن مالك"، أنموذجينـ

The Linguistic and Educational Dimension in Grammatical Texts and Abbreviations
Samples of : « Al-Wadih Fi Ilm Al-Arabia » by Azzoubeidi and « Alfiyat Ibn Malik »

أ. فيصل جلايبيّة [1]

تاريخ الاستلام: 23- 12- 2018 تاريخ القبــول: 04- 03- 2019

الملخّص: تعدّ المتون والمختصرات بنوعيها النّثريّ والنّظميّ ظاهرة بارزة في الفكر العربيّ الإسلاميّ، شهدتها العلوم الإسلاميّة عامّة، كالفقه والفرائض والأصول والحديث، منذ قرون من الزمان. وكان علم العربيّة (النّحو) - على غرار تلك العلوم- قد حظي بالتّصنيف فيهما.

ومقالي هذا، يسعى إلى الكشف عن الأبعاد اللسانيّة والتّربويّة التّي تأسّست عليها هذه المختصرات النّحويّة، وإبراز قيمتها المعرفيّة والمنهجيّة والتّربويّة بالإشارة إلى كيفيّة الإفادة منها في بناء المناهج الدراسيّة؛ من أجل ذلك نقدّم على امتداد هذه الصفحات قراءة تحليليّة نقديّة في كتاب الزبيديّ (ت: 379 ه)"الواضح في علم العربيّة" الذي ينتمي إلى جملة المختصرات النّحويّة النّثريّة وفي ألفيّة ابن مالك (ت: 672 ه)وهي من قبيل النّظم التّعليميّ.

الكلمات المفتاحيّة: لسانيّة ؛تربويّة؛ مختصرات نحويّة؛ الواضح في علم العربيّة للزبيدي؛ ألفيّة ابن مالك.

[1] جامعة محمد الشريف مساعديّة، ولايّة سوق اهراس، الجزائر، البريد الالكتروني: Lokmanesadi@outlook.fr

Abstract: Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Both prosaic and poetic texts and abbreviations are a prominent phenomenon in the Arabo-Islamic ideology, generally seen in the Islamic Sciences, such as : Al fiqh « jurisprudence », Al farayed « laws of inheritance », Al ossol « origins of law » and Al hadith « prophetic tradition » centuries ago. The Arabic grammar has been written in those texts and abbreviations, too.

My present paper aims at discovering the linguistic and pedagogical dimensions which were the basis of those grammatical abbreviations, as well as highlighting its cognitive, systematic and pedagogical value by showing how to use them effectively in designing educational curricula. For that, and along these pages, we give an analytical and critical reading in the book of « Al-Wadih Fi Ilm Al-Arabia » by Azzoubeidi (died in 379h) which belongs to prosaic grammatical abbreviations and in « Alfiyat Ibn Malik » (died in 672h) which is a didactic poetry.

Keywords: -: The Linguistic ; Educational ; Grammatical Abbreviations ;04« Al-Wadih Fi Ilm Al-Arabia » by Azzoubeidi ;« Alfiyat Ibn Malik ».

keywords; keywords keywords; keywords; keywords.

المقدّمة: لعله من المناسب قبل تقديم قراءة تحليليّة نقديّة لكتاب الواضح وألفيّة ابن مالك، النّطرق إلى أهم العوامل التّي أسهمت في ظهور المختصرات النّحويّة كفن من فنون التّأليف، وتطور الاهتمام بها حتى زاحمت المطولات في اهتمام العلماء تصنيفا وتدريسا، واهتمام المتعلمين دراسة وتحصيلا ؛ فظاهرة المختصرات النّحويّة كغيرها من الظواهر اللغويّة، كانت بلا شك نتاج عوامل

كثيرة أدت إلى حدوثها، وظهورها في التّراث اللغوي العربي على فترات دون انقطاع. وفيما يأتي ذكر لأهم الأسباب الكامنة وراء ظهور المختصرات النّحويّة النّثريّة والنّظميّة وبروزها في منظومة التّأليف النّحوي:

اكتمال نضج العلم : إنَّ السبب الرئيس في ظهور المتون والمختصرات النّحويّة هو اكتمال صرح النّحو ممثلا في كتاب سيبويه«ففي أقل من قرن خرج إلى الوجود نحو تام التّكوين سوي الخلق منسجم الأطراف» [1] ؛ إذ قد بلغ النّحو منتهاه في أواخر القرن الثاني الهجري مع كتاب سيبويه، الذي يعد مؤلفا ضخما جامعا لقواعد النّحو وأصوله [2]؛ لذا لم يَعُد هناك من جديد فيه من جهة المضمون ؛ مما دفع إلى تنافس العلماء على التّجديد فيه من حيث الشكل فلجئوا إلى التّجديد في طريقة تعليمه، ومن ثم أكثروا من تأليف المتون والمختصرات النّحويّة.يقول شوقي ضيف ضمن هذا السياق: فالنّحو وأصوله وقواعده الأساسيّة تكونت نهائيا على يد سيبويه وأستاذه الخليل، وكأنهما لم يتركا للأجيال التّاليّة سوى خلافات فرعيّة تتسع وتضيق حسب المدارس وحسب النّحاة [3]

تبسيط العلم : وذلك لأن كثيرا من الكتب النّحويّة القديمة تتناول العربيّة بالتّحليل والتّعليل، ككتاب سيبويه والخصائص لابن جني، وهي كتب علميّة محضة، لا يمكن استعمال محتواها في تدريس العربيّة مباشرة، ومن ثم لجأ العلماء إلى تأليف المتون والمختصرات النّحويّة، التّي تتميز بالاختصار والاقتصار على الأسس العامة، التّي يستطيع الدارس استيعابها بأقصر طريق وأقل زمان دون المرور بتعقيدات العلم التّي لا حاجة للمتعلم بها.

حاجة غير العرب إلى تعلم العربيّة: من بين أبرز العوامل التّي أدت إلى ظهور المتون والمختصرات النّحويّة، تعليم العربيّة لغير النّاطقين بها ممن دخل في الإسلام، وهذا التّعليم يعد وسيلة ليتمكن من خلالها غير العرب من إقامة شعائر

دينهم، ومما لا شك فيه أن هذا النّمط من التّأليف الذي يتسم بالعبارات الموجزة الجامعة يتناسب تدريسه لغير العرب.

تعدد الأمالي وكثرتها في الأقاليم: تمثل الأمالي اتجاها من اتجاهات التّصنيف التّعليمي في التّراث العربي، ومظهرا لما كان يحدث من تدوين لأقوال الشيوخ والمعلمين على اختلاف تخصصاتهم، « والأمالي هي ما كان يمليها الشيخ أو من ينيبه عنه في حضرته فيتلقفها الطلاب بالتّقييد في دفاترهم، وفي هذا يكون الشيخ قد أعد ما يمليه، أو يلقي إلى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه »[4]

وعلى ضوء ما سبق؛ فإن الأصل في هذه المختصرات النّحويّة كلها أو جلها أنها عبارة عن أمالي أملاها المعلمون على اختلاف تخصصاتهم من لغويين ونحاة وبلاغيين وفقهاء.... في حلقات العلم على تلامذتهم قبل أن تأخذ شكلها النّهائي وبهذا نستطيع أن نقرر أن كثرة الأمالي وتعددها في أقطار العالم الإسلامي أدى إلى ظهور المختصرات النّحويّة .

الحاجة التّعليميّة: [5]تعد الحاجة التّعليميّة من بين أهم العوامل لظهور المختصرات النّحويّة؛ لأنه من الواضح أن المطولات في جانب النّحو لا يتناسب تدريسها للمتعلم المبتدئ؛ لوجود حواجز كثيرة تحول بين المتعلم وفهم الكتاب المطول منها: الصعوبة في التّفاعل مع المطولات نظرا لإفراطها في استعمال القياس والعلل والتّأويل، وطول الزمن في تتبع المطولات، كما أن الغالب أن المطولات يخاطب بها المتخصصون، وأيضا فإن ضعف الإرادة من قبل المتعلمين جعل العلماء يتعاملون مع هذا الضعف بمصنفات متناسبة مع مستوى المتعلمين حتى لا يؤدي طول المصنفات إلى انصراف المتعلمين عن العلم بالكليّة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لوضع مختصرات نحويّة يكوّن المتعلم من خلالها قاعدة صلبة يستطيع أن يبني عليها، ويتوسع من خلالها، وتكون معلوماته مركزة لا مشتتة.

وقد أشار خلف الأحمر ت 180ه إلى هذا السبب بقوله: «لما رأيت النّحويين وأصحاب العربيّة أجمعين قد استعملوا التّطويل وكثرة العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلِّغ في النّحو من المختصر والطرق العربيّة والمأخذ الذي يخف على المبتدى حفظه، ويعمل في عقله، ويحيط به فهمه فأمعنت النّظر الفكر في كتاب أولفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم فعملت هذه الأوراق» [6].

ويبدو لنا من خلال كلام خلف الأحمر السابق أن ظهور المختصرات النّحويّة كان مرافقا لظهور الكتب النّحويّة المطولة ككتاب سيبويه «وكانت الغايّة من ظهورها عدم الاعتماد على الكتب المطولة في تعليم الأجيال القواعد وعدم الإفراط في القياس والعلل والتّأويل والتّقليل من الحشو والتّطويل في الكلام .والذي يبدو أن ظهور كتب المختصرات جاء رد فعل ايجابي لتسهيل التّعلم وتخليصه من الالتّباس وجعل القواعد العربيّة أقل صعوبة مما يسهل على التّلميذ أمر تعلم القواعد». [7]

شدة حرص علماء هذه العصور على سرعة تلافي ما ضاع من الكتب، ولاسيما بعد كارثة المشرق وإحراق المؤلفات في بغداد في فتنة هولاكو، وبعدما أصاب الأمة من نكسات في الأندلس، فرغبوا في جمع شتات هذه العلوم في صور مختلفة وحرصوا على جمع أكبر قدر ممكن من العلوم وحفظها من الضياع بعد النّكبات السياسيّة والعسكريّة التّي حلت بالمسلمين وأفقدتهم جل تراثهم؛ مما أدى إلى سعي كثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم إلى إيجاد وسائل تكفل لهم حمايّة التّراث العربي الإسلامي من التّعرض للضياع فعمدوا إلى وضع مختصرات تضم القواعد الأساسيّة والمسائل الجوهريّة، دون الإغراق والتّوسع في التّفاصيل، لتكون مناسبة للمتعلمين، وكأن هذا العمل منهم يعد تعويضا للنقص الكبير الذي منيت به المكتبة العربيّة على يد المغول [8]

خروج النّحو عن الغرض الأساسي منه وهو خدمة المتعلمين: وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «...ثم طال الكلام في هذه الصناعة، وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصرين القديمين للعرب. وكثرت الأدلة والحجاج بينهم وتباينت الطرق في التّعليم، وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد، وطال ذلك على المتعلمين، وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار، فاختصروا كثيرا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التّسهيل وأمثاله، أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلمين....والجملة فالتّآليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها، وطرق التّعليم فيها مختلفة؛ فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين»[9].

يجب أن تحتوي مقدّمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكاليّة البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

البعد اللساني التّربوي في كتاب الواضح للزبيدي: (ت379ه [10]): جاء ذكر كتاب الواضح في علم العربيّة في مراجعَ كثيرةٍ [11]؛ مما يؤكد نسبة الكتاب إلى صاحبه الزبيدي، لقد وضع ابن حزم في رسالتّه مراتب العلوم منهجا تربويا تعليميا يفيد المتعلم المبتدئ في تعلم النّحو، وقد اختار كتاب الواضح للزبيدي ليكون نموذجا لتحقيق الغرض من النّحو المتمثل حسب رأي ابن حزم في القدرة على القراءة والمخاطبة، فقال بعد أن أكّد العلاقة بين علم النّحو واللغة، وارتباط النّحو بالمعاني: «...فإذا نفذ في الكتابة و القراءة كما ذكرنا فلينتقل إلى علم النّحو واللغة معا: ومعنى النّحو: هو معرفة تنقل هجاء اللفظ وتنقل حركاته الذي يدل كل ذلك على اختلاف المعاني، كرفع الفاعل ونصب المفعول، وخفض المضاف، وجزم الأمر والنّهي، وكالياء في التّثنيّة، والواو في رفع

الجمع وما أشبه ذلك.فإن جهل هذا العلم عسر عليه علم ما يقرأ من العلم.واللغة هي ألفاظ يعبر بها عن المعاني، فيقتضي من علم النّحو كل ما يتصرف في مخاطبات النّاس، وكتبهم المؤلفة، ويقتضي من اللغة المستعمل الكثير المتصرف» [12]

ويبدو من خلال ما سبق من كلام ابن حزم أن الغايّة من النّحو هي مخاطبة النّاس، وقراءة كتبهم المؤلفة، هي الغايّة نفسها التّي توخاها الزبيدي في كتابه الواضح فقد قصد إلى السهولة والوضوح واليسر في عرض أبواب النّحو ومسائله على المتعلم، ويظهر ذلك في الطريقة التّعليميّة التّي صبغ بها كتابه، والتّي سنأتي على ذكر أبرز ملامحها لاحقا.

وقد رام الزبيدي من خلال كتابه الواضح، وضع كتاب في النّحو التّربوي التّعليمي، يتسم بالوضوح بعيدا عن الغموض والتّعقيد، يتناسب مع المتعلمين المبتدئين.وقد أشار بن حزم الأندلسي، المولود في قرطبةَ سنة 384هجري؛ أي أن ولادته كانت بعد وفاة الزبيدي بخمس سنوات فقط إلى كتاب الواضح واعتبره نموذجا للنحو التّربوي التّعليمي النّافع في المخاطبة والقراءة، فقال في رسالة مراتب العلوم: «...وأقل ما يجزئ من النّحو كتاب الواضح للزبيدي أو ما نحا نحوه كالموجز لابن السراج، وما أشبه هذه الأوضاع الحقيقيّة» [13]

ومما نستنتجه من كلام ابن حزم السابق أنه يعد كتاب الواضح للزبيدي كفيلا بتحقيق الأهداف التّعليميّة المتمثلة في الوصول بالمتعلم إلى القدرة على التّعبير الشفوي والكتابي، وذلك لأن معرفة النّحو في نظر ابن حزم يوصل إلى اختلاف المعاني، بما يقف عليه المتعلم من اختلاف الحركات في الألفاظ ومواضع الإعراب منها.....

أبواب الكتاب: اشتمل كتاب الواضح في علم العربيّة للزبيدي على معظم الأبواب النّحويّة [14] إضافة إلى شيء من أبواب الصرف والعروض وقواعد

الإملاء، ويُدْرجُ هذا الكتاب في جملة المختصرات النّحويّة التّي وضعها الزبيدي بسبب العيوب التّي رآها في كتب نحاة زمانه

و قد عبر عنها بقوله: «أما بعد فإنني رأيت علماء النّحو في زماننا هذا، وما قاربه قد أكثروا التّأليف فيه وأطالوا القول على معانيه، فأملّوا النّاظرين وأتعبوا الطالبين، بتكرار معان قد بنيت، وركوب أساليب قد نهجت، فلم يخل أكثرهم بغير عائدة ما تقدم »[15].

عند فحصنا لكتاب الواضح لاحظنا أن الزبيدي لم يسلك منهجا معينا في ترتيب الأبواب، فلم يبن كتابه على أساس العوامل كما فعل بعده ابن معطي في فصوله الخمسين، أو المعمولات فيجمع المسائل المتشابهة تحت باب واحد كما فعل معاصره ابن جني في اللمع، ولكنه مع ذلك كان حريصا «...على ألا يبني شرحه لباب يحتاج في جزئياته إلى أبواب أخرى إلا إذا عرض لتلك الأبواب ويوضح ذلك أنه بدأ بالفعل والفاعل، أي: الجملة الفعليّة، ثم ثنى بالخفض: المخفوض بالحرف، والمخفوض بالظرف قبل أن يتناول المبتدأ والخبر، لأنه في حديثه عن الخبر سيعرض لأنواعه، ومنها الجملة وشبه الجملة، كما يتضح ذلك أيضا في ذكره للنعوت والعطف قبل حديثه عن نعت اسم إن، والعطف عليه، وقبل الحديث عن المنادى وتابع المنادى والعطف عليه »[16].ولعل هذا الصنيع من الزبيدي له فائدة تعليميّة مهمة، وهي أن المتعلم يتصور المسألة النّحويّة تصورا كاملا.

وما سبق ذكره من كون الزبيدي لم يعتمد منهجا معينا في ترتيب الأبواب لا يعني هذا أنه قد بنى كتابه على غير خطة، وتخطيط، وأن ترتيب الموضوعات التّي جاءت في كتابه تتسم بالعشوائيّة، بل إن الزبيدي سلك في ترتيب موضوعاته منهجين:

المنهج الأول: منهج الانطلاق من تقديم البسيط على المعقد، والسهل على الصعب، وتبرز أهم ملامح هذا المنهج في عدم عرضه لموضوعات الصرف حتى

يستوفي موضوعات النّحو الضروريّة؛ حتى يكون الارتياض عليها سهلا وممهدا للدخول في علم الصرف وموطئا له على حد تعبير ابن جني

المنهج الثاني: راعى الزبيدي في ترتيب موضوعات كتابه مبدأ التّرابط ويوضح ذلك أنه ذكر الفعل والفاعل، أي: الجملة الفعليّة، ثم ثنى بالخفض: المخفوض بالحرف، والمخفوض بالظرف قبل أن يتناول المبتدأ والخبر، لأنه في حديثه عن الخبر سيعرض لأنواعه، ومنها الجملة وشبه الجملة، كما يتضح ذلك أيضا في ذكره للنعوت والعطف قبل حديثه عن نعت اسم إن، والعطف عليه، وقبل الحديث عن المنادى وتابع المنادى والعطف عليه.....وعلى ضوء ما تقدم ذكره يتضح لنا مدى التّرابط بين موضوعات النّحو في كتاب الواضح هذا التّرابط الذي من شأنه أن يجعل«المتعلم لا يحس بأي غرابة عندما ينتقل من درس إلى درس آخر، بل أن يشعر بوجود تسلسل متماسك بين الدروس المتتاليّة، ولا يتم ذلك إلا إذا كان الدرس الواحد يرتبط بما قبله لما فيه من التّدعيم والتّثبيت للمكتسبات السابقة، وبالذي يليه لما فيه من التّمهيد له» [17]

مما نلاحظه في ترتيب الزبيدي لموضوعات النّحو والصرف، أنه يذكر بعض الموضوعات التّي تبدو صعبة نوعا ما على المتعلم المبتدئ، قبل الموضوعات السهلة مثل ذكره لموضوعي المصادر والظروف قبل موضوعي الحال والنّداء، وألف الوصل والقطع قبل ذكر ضمائر الأسماء؛ لأن ترتيب الموضوعات النّحويّة لا يخضع لمبدأ السهولة والصعوبة فقط، بل إن ترتيب الموضوعات النّحويّة يتأثر بعوامل كثيرة منها: الأهداف، ومستوى المتعلمين، والوقت المخصص للتعليم [18].....والأهم من ذلك كله هو مقياس الأهميّة والإفادة(utilité) فليس كل الموضوعات المهمة الأساسيّة سهلة، وكذلك ليس كل الموضوعات السهلة ضروريّة ومفيدة في التّعليم ؛ فهناك أشياء صعبة ومع ذلك هي ضروريّة للمتعلم مثل جدول الضرب مع صعوبته على المتعلم إلا أنه ضروري بالنّسبة

إليه....وقد لا أكون مبالغا إن قلت إن الزبيدي قد بنى كتابه على هذا المبدأ أعني تقديم الأهم فالمهم من الموضوعات النّحويّة والصرفيّة والصوتيّة.

يندرج كتاب الواضح في علم العربيّة للزبيدي في جملة كتب النّحو التّعليمي لما يأتي: سبق وأن ذكرنا أن ابن حزم يؤكد على العلاقة بين النّحو واللغة، ويرى أن النّحو يرتبط ارتباطا كلّيا بالمعاني، وهذا ما نراه واضحا في كتاب الواضح للزبيدي؛ إذ نظر إلى اللغة باعتبارها وحدة متكاملة، لا يمكن أن تفصل عن النّحو؛ لذلك جاء كتابه جامعا لعلوم اللغة فعالج فيه موضوعات النّحو والصرف والأصوات.ومما يبين ربط الزبيدي النّحو بالمعنى حديثه عن تقسيم الأفعال من حيث الزمن إلى ثلاثة أنواع، فيقول: «...اعلم أن الأفعال على ثلاثة أضرب: ضرب منها أفعال ماضيّة قد ذهبت وتقضّت..، والضرب الثاني: أفعال مستقبلة، منتظرة لم تقع بعد...، والضرب الثالث أفعال واقعة في الوقت الذي أنت فيه لم تنقض ولما تنقض بعد...، كقولك: يصلي ويأكل ويتكلم ويقرأ ويكتب، وما أشبه ذلك، وهذه الأفعال تسمى الدائمة» [19] فتسميّة الزبيدي- كما يقول الدكتور عبد الكريم خليفة- «للأفعال المستمرة الحدوث، أثناء التّكلم بالأفعال الدائمة، بدلا من الأفعال المضارعة يبين طبيعة نظرة الزبيدي من حيث ربط الاصطلاحات النّحويّة بدلالاتها في المعنى» [20] .

ما يميز كتاب الواضح للزبيدي ابتعاده عن التّعريفات التّي تشتت ذهن المتعلم المبتدئ؛ فهو لا يحفل بالتّعريف، ولكنه يهتم بذكر الأمثلة التّي تسهم في تكوين الإدراك للمتعلم عن طريق توضيح القاعدة النّحويّة. وقد سلك هذا المنهج في معظم أبواب الكتاب [21] ومثال ذلك قوله في باب أقسام الكلام: «...اعلم أن جميع الكلم ينقسم على ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم قولك: رجل وفرس وحمار وزيد وعمرو وما أشبه هذا والفعل قولك: ضرب وخرج وانطلق ويضرب ويخرج واضرب واسمع وما أشبه هذا والحرف: هل وبل ونعم وما أشبه هذا» [22]

تبنى المؤلف في كتابه الطريقة الحواريّة في عرض موضوعات النّحو فالمتصفح لكتاب الواضح يرى فيه حضورا بارزا لشخصيّة القارئ بواسطة مشاركة المؤلف إياه عن طريق الحوار المتمثل في أسلوب السؤال والجواب فالكتاب مملوء بمثل هذه العبارة فإن قيل لك فقل.ومثال ذلك قوله في باب صفة الإعراب: « فإن قيل لك أين الرفع في قولك: رجل؟فقل: في اللام؛ لأنه آخر الاسم، وكذلك الرفع في قولك ثوب، في الباء؛ لأنه آخر الاسم، وسائر الأسماء والأفعال المذكورة كذلك.والنّصب قولك: رجلا وثوبا وزيدا وبكرا والغلام والفرس ويضربَ ويقومَ.فإن قيل لك: أين النّصب في قولك: رجلا؟ فقل في اللام؛ لأنه آخر الاسم وكذلك سائر الأسماء والأفعال المذكورة.والخفض: رجل وثوب وزيدٍ والفرس ونحوه.فإن قيل لك: أين الخفض في قولك: رجلٍ؟فقل: في اللام؛ لأنه آخر الاسم، وكذلك سائر الأسماء.والجزم قولك: اضرب واسمع ولا تضرب ولم تضرب.فإن قيل لك: أين جزم اضرب؟فقل في الباء؛ لأنه آخر الفعل، وكذلك سائر الأفعال » [23]

ويظهر الأسلوب التّربوي التّعليمي واضحا في هذه الطريقة التّي سلكها الزبيدي في كتابه؛ لأنه بهذا الحوار يسهم في إثارة انتباه المتعلم من جهة بمشاركته إياه من خلال تقنيّة السؤال والجواب، ومن جهة أخرى فإن من محاسن هذه الطريقة أنها تبتعد بالمتعلم عن طريقة تلقين القاعدة مباشرة التّي درج عليها كثير من المصنفين، وتجعله يشارك في استنباط القاعدة بنفسه.

يظهر في كتاب الواضح تركيز المؤلف على العلة التّعليميّة التّي هي من صميم النّحو التّعليمي، والهدف منها تربوي محض يتمثل في إكساب المتعلمين المبتدئين القدرة على صحة النّطق والكتابة(التّعبير الشفوي والكتابي)، ومن ناحيّة أخرى فإننا نرى ابتعاد المؤلف عن العلل الثواني والثوالث(العلل القياسيّة والجدليّة) التّي تتجاوز حدود الوصف إلى التّفسير والتّعليل؛ لأن هذا النّوع من

العلل يحتاجه المتخصصون ؛ فهو من صميم النّحو العلمي التّحليلي والغرض منه البحث والاستنباط والتّأويل والنّص السابق يؤكد ما ذكرناه

حرص المؤلف في كتابه الواضح على أن يبتعد عن الاستشهاد بالقرآن والشعر والأحاديث والأمثال، وعني بإيراد الأمثلة [24] الكثيرة الشائعة الاستعمال لتوضيح القواعد النّحويّة، المأخوذة من لغة التّخاطب اليومي، ولاشك أن هذا الأسلوب الذي سلكه الزبيدي في كتابه الواضح يتناسب مع طبيعة المتعلمين المبتدئين الذين يوجه إليهم الكتاب وذلك بتوضيح القواعد النّحويّة عن طريق إيراد أمثلة سهلة في تراكيبها من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا النّوع من التّمثيل « ...يساعد المبتدئ على المحاكاة والتّقليد » [25] « ...ولعل الزبيدي قد أدرك بسعة إطلاعه وثاقب رأيه أن الاستشهاد بالآيات القرآنيّة والأشعار والأمثال وفصيح النّثر، إنما يهدف إلى إثبات قاعدة لغويّة أو الاستدراك عليها أو التّنبيه إلى فصيح لا يشمله القياس، في حين أن التّراكيب الصحيحة من الأمثلة السهلة التّي تنبع من اهتمامات المتعلم وبيئته، هي وحدها التّي تستطيع أن توضح القواعد النّحويّة وتجعلها أقرب إلى نفسه، وأكثر اتصالا بحياته » [26]

منهجه في الإعراب: سلك الزبيدي في إعرابه الأمثلة التّي أوردها في كتابه الواضح طريق الإعراب المجمل، وذلك أنه اعتمد « ...طريقة في تفكيك التّراكيب والجمل وتحليلها لم يسبق إليها، حيث ابتعد عن الإعراب الصناعي وركز على الغرض الوظيفي للعناصر النّحويّة، فجاء إعرابه عمليا واضحا يفهمه المتمرس والمبتدئ » [27]. ومن ذلك قوله في الباب الذي وسمه بباب الأفعال التّي لا تتعدى فاعلها إلى مفعول: « ...إذا أخبرت عن شيء أنه فعَل فعلا ما، وقدمت فعله، فارفع ذلك الشيء؛ لأنه الفاعل الذي فعل. نقول: ذهب زيد. ذهب: فعل ماض، وزيد: مرفوع لأنه هو الفاعل الذي ذهب، ورفعه في الدال لأنه آخر الاسم .وكذلك: خرج الرجل. خرج فعل ماض، والرجل: فاعل لأنه الذي خرج.وكذلك : ظهر الحق، وتبين الأمر.ترفع الحق، لأنه الفاعل الذي ظهر

وكذلك رفعت الأمر أيضا لأنه الذي تبين.ونقول: قام أخوك.قام: فعل ماض وأخوك: مرفوع لأنه الفاعل الذي قام، ورفعه بالواو لأنه آخر الاسم والكاف ليست من الاسم إنما هي كاف المخاطب، تفتحها لمخاطبة المذكر.فتقول: أخوك وأبوك، وتكسرها لمخاطبة المؤنث.فتقول: أخوك وأبوك وكذلك: تكلم أبوك وجاء أبو زيد، وقدم أبو عمرو، ترفع أبوك وأبو زيد وأبو عمرو، لأنهم الفاعلون ورفعهم بالواو.وتقول خرج الرجلان.خرج: فعل ماض، والرجلان: رفعهما بالألف وكسرت النّون لأنها نون الاثنين... » [28]

نلاحظ من خلال كلام الزبيدي في هذا الباب الذي عقده للأفعال اللازمة أنه إضافة إلى تبنيه طريقة الإعراب المجمل في الأمثلة التّي ساقها، أنه تحدث عن رفع الفاعل بالواو وعن رفعه بالألف، وجعل الواو والألف علامتي الرفع، ولم يذكر أن الواو والألف ينوبان عن الضمة، وأحسب أن ذلك من قبيل الاكتفاء بالأسس العامة مراعاة لمستوى المتعلمين.ومما نأخذه من كلام الزبيدي السابق أنه ينوع في ذكر الأمثلة فيذكر الفاعل المفرد المذكر، والمفرد المؤنث، والمثنى المذكر، والجمع المذكر، وينوع أيضا في ذكر الأفعال، فيذكر الفعل الماضي والمضارع والمستقبل، ولاشك أن « ... تنوع الأمثلة وكثرتها يتيح فرصة للمتعلم لتذوق التّركيب، ويساعده على تكوين الحس اللغوي السليم » [29]

وتبدو طريقة الإعراب المجمل التّي تبنى على تحليل الجملة ومعرفة وظائف عناصرها واضحة أكثر من خلال حديثه عن كم الاستفهاميّة حيث يقول: « ... اعلم أن كم اسم يقع على العدد، ولها في الكلام معنيان: أحدهما الاستفهام والثاني الخبر تقول في الاستفهام : كم رجلا أصحابك؟.فكم اسم معناه الاستفهام عن العدد وهو في موضع رفع بالابتداء .ورجلا منصوب على التّفسير وأصحابك خبر الابتداء.كأنك قلت : أعشرون رجلا أصحابك؟.ومثله كم ذراعا دارك؟.وكم غلاما عندك؟.وكم سنة لك؟ وإن شئت قلت: كم أصحابك؟.وكم دارك؟ فتحذف الاسم المنصوب بالتّفسير تريد: كم رجلا

أصحابك؟ وكم ذراعا دارك؟...» [30] «...فجملة: كم رجلا أصحابك؟ في منظور الزبيدي، تكافئ بنويا جملة: أعشرون رجلا أصحابك؟.كما أنها تكافئ وظيفيا جملة: كم أصحابك؟ » [31] والحاصل أن الزبيدي يعتمد في طريقة الإعراب التّحليل البنوي الوظيفي الذي من شأنه أن يدرب المتعلم على تحليل الجملة، ومعرفة وظائف مفرداتها، وهذا هو الإعراب الذي ينبغي أن يعنى به أساتذة النّحو بدل الإعراب الصناعي الذي يشتت ذهن المتعلم بالإكثار من تفاصيل الإعراب .

مما يميز كتاب الواضح للزبيدي «...البعد عن استعمال المصطلحات التّي تثقل كاهل الدارس مما تغص به كتب النّحو الأخرى، مثل البناء والمبني والأسماء الخمسة، والأفعال الخمسة، وشبه الجملة، والشبيه بالمضاف، والاسم المطول، ونون الوقايّة، والإعراب المقدر للثقل وللتعذر... » [32].ومن الأمثلة التّي تدل على هذا المنحى الذي سلكه الزبيدي في كتابه اعتباره ما يخفض ثلاثة أشياء: حرف وظروف وأسماء دون أن يُجهِدَ المتعلم بالجزئيات النّحويّة الكثيرة في هذا الباب [33].

يبدو أن الزبيدي في كتابه الواضح كان حر الاختيار، في إتِّباع الآراء النّحويّة، فلم يلتزم مدرسة نحويّة معينة، بل كان يوافق البصريين أحيانا ويميل تارة أخرى إلى آراء الكوفيين .ويظهر ذلك من خلال عدة أمثلة، ومنها حديثه عن إعراب حبذا؛ إذ يقول في إعراب حبذا «...وأما حبذا فمعناها المدح وأصلها حب ذا الشيء، حب: فعل ماض، وذا: اسم المشار إليه .ثم كثر استعمالها حتى صار حب وذا كلمة واحدة. وصارت ذا كالباء من ضرب، فارتفع ما بعدها من الأسماء بها، تقول: حبذا عبد الله فعبد الله : رفع بحبذا . وكذلك : حبذا الرجلان، وحبذا المرأة وزعم قوم أن عبد الله ابتداء، وحبذا خبره، والذي قدمت أحب إلي» [34].

فالزبيدي هنا قد خالف جمهور البصريين.ونلاحظ أن إعرابه لحبذا يتسم بالسهولة واليسر؛ فهو إعراب بنوي وظيفي.ومن ملامح السهولة واليسر في إعراب الزبيدي إعرابه لنائب الفاعل، وهو الذي يطلق عليه اسم المفعول الذي لم يسم فاعله، يقول: « وإذا أوقعت الفعل على مفعول ولم تذكر الفاعل، فارفع المفعول وأقمه مقام فاعله في إعرابه.تقول: ضُرِبَ زيدُ.ضرب: فعل ماض.وزيد مرفوع لأنه مفعول لم يسم فاعله فقام مقام الفاعل.... » [35].

فالزبيدي يرى من باب التّسهيل والوضوح في الإعراب في مثل: ضُرب زيدُ أن كلمة زيد مفعول به مرفوع لفعل لم يذكر فاعله، وذلك لأن زيدا قد وقع عليه فعل الضرب...وهكذا في سائر الأمثلة التّي يذكرها في باب المفعول الذي لم يسم فاعله.هذا من ناحيّة، ومن ناحيّة أخرى فإن الزبيدي في مثل هذا الإعراب قد راعى المعنى فإن كلمة زيد في قولنا ضُربَ زيد مفعول به من حيث المعنى ؛ لأن زيدا قد وقع عليه فعل الضرب.

ومن مظاهر السهولة والتّيسير على المتعلم أيضا في إعراب الزبيدي إعرابه للأفعال المضارعة التّي دخلت عليها السين (وقد أطلق عليها الزبيدي اسم الأفعال الدائمة)، ومثاله قوله « ...وتقول: سيكرَمُ زيدٌ.سيكرم: فعل مستقبل.وزيد: مفعول لم يسم فاعله » [36]

فنلاحظ هنا أنه يعتبر السين والفعل شيئا واحدا؛ لذلك يعربهما كأنهما شيء واحد دون أن يفصل بين السين والفعل .ومن ناحيّة أخرى فإن الزبيدي لم يعرب يكرم فعلا مضارعا، وإنما أعربه فعلا مستقبلا؛ لأنه راعى المعنى المستفاد من الأداة سين التّي دخلت على الفعل، وهي كونها تفيد الاستقبال.ثم إن في إعراب الزبيدي لكلمة زيد في المثال السابق على أنها مفعول لم يسم فاعله تذكيرا بأصل كلمة زيد وهي كونها مفعولا، فكأن الزبيدي بهذا الإعراب قام بعمليّة رد الفروع إلى أصولها.

إن أهم ما نستخلصه بعد القراءة التّحليليّة لكتاب الواضح في علم العربيّة للزبيدي أن مؤلفه وضعه لغايّة تعليميّة محضه ولاشك أن إشارة ابن حزم لكتاب الواضح للزبيدي كنموذج للنحو الوظيفي يؤكد الغايّة التّعليميّة التّي من أجلها وضع الزبيدي كتابه هذا .

وإن القيمة اللسانيّة التّربويّة لهذا الكتاب « تكمن في المنهج العلمي الذي يتبناه الزبيدي في معالجة قضايا النّحو لغايات تعليميّة من أجل تيسيره وتسهيل قواعده، وجعلها سائغة أمام المتعلم.فحرص على عدم الفصل بين النّحو واللغة، ونظر إلى قواعد اللغة من حيث ارتباطها بالمعنى.ولذلك فقد عني بإيراد الأمثلة الكثيرة الشائعة الاستعمال محاولا تقويم التّراكيب اللغويّة وإشاعة الصحيح منها.وهكذا فنحن نستطيع أن نقول إن الزبيدي في كتابه الواضح كان ينتهج منهجا عمليا تطبيقيا غرضه تقويم اللغة المستعملة، سواء في المخاطبة أو الكتابة، دون أن يثقل ذهن المتعلم بكثير من القواعد النّحويّة » [37]

وقد أكد الزبيدي من خلال معالجته لأبواب النّحو ومسائله أن اللغة وحدة متكاملة لذلك لم يفصل بين موضوعات النّحو والصرف والأصوات، بل ربط النّحو بالمعاني وقد سبق إيضاح ذلك.

وقد رام الزبيدي من خلال كتابه إلى توضيح النّحو في ذهن المتعلم؛ لذا عنون كتابه باسم ينطبق على مسماه، فاتسم أسلوبه بالوضوح في المعنى، وعدم التّعقيد في المبنى؛ مما أدى إلى تحقيق الهدف من تأليفه وهو تقريب النّحو من المتعلمين، ومن أبرز ملامح الوضوح في كتاب الواضح في علم العربيّة ما يلي : (- تبنيه للطريقة الحواريّة في عرض المادة النّحويّة على المتعلم.- تبنيه للمنهج الوصفي في عرض أبواب النّحو وابتعاده عن التّعليل والتّفسير –طريقته في التّحليل والإعراب، حيث ابتعد عن الإعراب الصناعي وركز على العرض الوظيفي للعناصر النّحويّة –طبيعة حدوده وتعريفاته فقد لجأ إلى التّعريف

بالمثال الوظيفي الذي يعتمد على الوصف وكثرة التّمثيل، وابتعد عن الحد الأرسطي المنطقي –تركيزه على الشواهد النّثريّة الحيّة).[38]

البعد اللساني التّربوي في ألفيّة ابن مالك الأندلسي: ت 672ه نظم ابن مالك منظومة في النّحو والصرف تبلغ حوالي ألف بيت من بحر الرجز، جمع فيها مقاصد النّحو والصرف اختصرها من منظومته الكافيّة الشافيّة التّي تقع في حوالي ثلاثة آلاف بيت، وتعرف هذه المنظومة بالخلاصة أو الألفيّة .[39]

يتمتع ابن مالك بقدرة كبيرة على النّظم، مكنته من النّظم في فنون شتى في النّحو و الصرف واللغة والقراءات، « وبلغ مجموع نظمه التّعليمي قرابة عشرة آلاف بيت موزعة على اثنتي عشرة قصيدة »[40] ومن جملة ما نظم ابن مالك الألفيّة أو الخلاصة، ومن أهم الأسباب التّي دفعته إلى نظمها :

تأثره بألفيّة ابن معطي، وهذا واضح من قوله في بدايّة ألفيته : وتقتضي رضا بغير سخط فائقة ألفيّة ابن معطي[41]

رغبته في اختصار منظومته الكبرى الكافيّة الشافيّة ؛ نظرا لإفراطها في الطول، هذا وبالإضافة إلى إفراط الكافيّة الشافيّة في الطول؛ مما أدى إلى عدم انتشارها بين طلاب العربيّة فضلا عن غيرهم، فإنَّ بعض أبيات الكافيّة الشافيّة **تتضمن قصورا يجب تلافيه، ونقصا ينبغي إكماله**« فرأى ابن مالك أن تأليف منظومة جديدة يعالج فيها الأمرين –ما في الكافيّة الشافيّة من قصور، وعدم انتشارها لطولها- أحسن وأسهل وبخاصة أن النّظم عليه سهل طويله ورجزه »[42]

حظيت ألفيّة ابن مالك بشروح كثيرة أربت على ستين شرحا، وهي شروح مختلفة« منها الطويل المتشعب، ومنها القصير الذي يهتم بالمعنى العام، ومنها المتوسط بين الطول والقصر»[43]

وقد نالتّ ألفيّة ابن مالك شهرة واسعة النّطاق، فاقت معظم كتب النّحو بل طوت مصنفات نحويّة قديمة بأكملها حيث لم يعد لتلك المصنفات ذكر ولا تداول إلا بين المتخصصين والباحثين . وقد أقبل العلماء والمصنفون على هذه الألفيّة شرحا وتحشيّة وتعليقا وإعرابا ... « ما أصبح على مر الزمن مكتبات عظيمة منتشرة في المشرق والمغرب نشر منها الكثير وبقي الكثير ضائعا أو مخطوطا » [44]

ألفت العديد من الألفيات في النّحو عدا ألفيّة ابن مالك، وما يدعونا للتساؤل لماذا تعتبر ألفيّة ابن مالك أشهر المؤلفات النّحويّة؟بل وأصبح الذهن ينصرف إليها مباشرة إذا ذكر اسمها دون تقييد باسم ناظمها، حتى صار لفظ الألفيّة علما على ابن مالك، كما أن لفظ الكتاب علم على سيبويه أهو الحظ؟ فقد قيل: إن «حظوظ الكتب كحظوظ النّاس، يصيبها ما يصيبهم من ذيوع أوخمول، وقد أخملت ألفيّة ابن مالك ألفيّة ابن معطي حتى ليجعل بعضهم شرحا لألفيّة ابن معطي شرحا لألفيّة ابن مالك» [45]

وقد استمر الاهتمام بألفيّة ابن مالك إلى العصر الحديث . ولنا أن نتساءل عن سبب شهرة ألفيّة ابن مالك والاهتمام بها والجواب أن هناك عدة عوامل ساعدت على انتشار، وشيوع النّموذج النّحوي الذي صنفه ابن مالك، منها(نظم ابن مالك ألفيّة على بحر الرجز وهو سهل خفيف على السمع. وطريقة العرض والتّرتيب لموضوعات النّحو التّي تقوم على مبدأ التّشابه في العمل الإعرابي وليس على أساس التّشابه في المعنى.وهذا التّرتيب الذي سلكه ابن مالك في ألفيته «ارتضاه كثيرون ممن جاؤوا بعده، وهو التّرتيب الشائع اليوم، وهو فوق شيوعه أكثر ملاءمة في طريقته، وأوفر إفادة في التّحصيل والتّعليم» [46].

إضافة إلى كثرة الأمثلة وندرة الشواهد ؛ حيث لم يصرح ابن مالك في ألفيته إلا بشاهد واحد، ذكره في باب المفعول له، لكنه أكثر من الأمثلة التّي توضح القاعدة وتجعلها قريبة من ذهن المتعلم.ثم إن استيعاب الألفيّة لمعظم

مسائل النّحو والصرف مع صغر حجمها، يعد أيضا من جملة عوامل انتشارها إضافة إلى مكانته العلميّة [47]، و عدم وجود منظومة منافسة لألفيّة ابن مالك ...واعتماده القياس [48]

تنقسم ألفيّة ابن مالك إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: الأبواب النّحويّة، والقسم الثاني: الأبواب الصرفيّة، وبهذا التّقسيم لم يخرج ابن مالك عن المنهج السائد عند عامة النّحاة من تأخير أبواب الصرف على أبواب النّحو، يقول ابن جني معللا تأخير الأبواب الصرفيّة على النّحويّة: «لا تكاد تجد كتابا في النّحو إلا والتّصريف في آخره، فالتّصريف لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنّحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة...وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النّحو أن يبدأ بمعرفة التّصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حالتّه المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بدئ قبله بمعرفة النّحو، ثم جيء به بعد؛ ليكون الارتياض في النّحو موطئا للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه » [49].

اشتملت ألفيّة ابن مالك على واحد وستين بابا، ضمت أبواب النّحو والصرف، وقد بدأ ابن مالك ألفيته بمقدمة عددها سبعة أبيات، وختمها بخاتمة عددها أربعة أبيات وبين المقدمة والخاتمة عرض أبواب النّحو والصرف .وقد قسم ابن مالك ألفيته إلى قسمين كبيرين: القسم الأول الأبواب النّحويّة وهو الأكثر، والقسم الثاني الأبواب الصرفيّة.وينقسم القسم الأول بدوره إلى قسمين:

القسم الأول: المقدمات النّحويّة، وهي عبارة عن أحكام تتناول الكلمة قبل مجيئها في التّركيب، أتى بها ابن مالك تمهيدا للحديث عن الأحكام التّركيبيّة، وتتكون المقدمات النّحويّة من ثلاثة أبواب، وهي : الكلام وما يتألف منه، والمعرب والمبني، والنّكرة والمعرفة

القسم الثاني: الأحكام النّحويّة التّفصيليّة: بعد فراغ ابن مالك من ذكر المقدمات النّحويّة، والتّي تخص اللفظ قبل وروده في التّركيب عرض للأحكام التّركيبيّة، وهي التّي تخص الكلمة حال تركيبها، وينقسم هذا الجزء إلى خمسة أقسام:

أولا: أحكام الجملة الاسميّة وما يتصل بها: وفي هذا القسم تكلم عن باب الابتداء، وأبواب نواسخه

ثانيا: أحكام الجملة الفعليّة وما يتصل بها: وفي هذا القسم تحدث عن أبواب تتعلق بالمسند إليه في الجملة الفعليّة، مثل باب الفاعل، وباب نائب الفاعل وتحدث عما يتعلق بالفعل من حيث التّعدي واللزوم، والتّنازع في العمل، ثم ذكر أبواب المفعول المطلق والمفعول له، والمفعول فيه، والاستثناء، والحال والتّمييز.وعرض لأبواب تتعلق بما يعمل عمل الفعل من الأسماء مثل: باب إعمال المصدر، وإعمال اسم الفاعل.....

ثالثا: التّوابع في الجملتين الاسميّة والفعليّة: بعد أن أنهى ابن مالك الحديث عن الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة، ذكر ما يكون تابعا لهما في الإعراب، وهو باب النّعت، وباب التّوكيد، وعطف البيان وعطف النّسق، والبدل.

رابعا: أساليب نحويّة متنوعة: ذكر في هذا القسم كثيرا من الأبواب مثل: باب النّداء، الاستغاثة والنّدبة والتّرخيم، والاختصاص، والتّحذير والإغراء....

خامسا: أحكام خاصة بالفعل وما يشابهه: المقصود بما يشابه الفعل الممنوع من الصرف، وفي هذا القسم تحدث ابن مالك عن جملة من الأبواب مثل: باب نوني التّوكيد، وباب ما لا ينصرف، باب إعراب الفعل، وباب عوامل الجزم...

سادسا: أبواب نحويّة متفرقة: وفيه ذكر باب الإخبار بالذي والألف واللام وباب العدد، وباب كم وكأين وكذا، والحكايّة

القسم الثاني من أقسام الألفيّة هو القسم الصريح ووردت فيه الأبواب والفصول الآتيّة: التّأنيث، والمقصور والممدود، وجمع التّكسير، والتّصغير والنّسب، والوقف، والإمالة، والتّصريف، وزيادة همزة الوصل، والإبدال، والإدغام.

وهكذا نجد محور بناء منظومة ابن مالك على الطريقة الاستقرائيّة ؛ إذ تتناول بحث الجزئيات «أملا في للوصول إلى الكليات، وظلت المركبات محصورة في الجملة الاسميّة و الجملة الفعليّة وشبه الجملة، وظل تعليم النّحو في إطار تبوبه بعيدا عن الأساليب الإنشائيّة والأساليب الخبريّة بأنواعها، وظل نحو الألفيّة مقيدا ببيان الوظائف النّحويّة للمفردات وعلاماتها المعروفة بعلامات الإعراب فعقد بابا للمبتدأ وثانيا للخبر وثالثا للفاعل ورابعا لنائب الفاعل.... »[50].

ومعنى ذلك أن ابن مالك بنى أبواب ألفيته على الجزئيات سعيا للوصول إلى الكليات فلم يدرس الجملة الاسميّة في إطارها الكلي وإنما درس جزئياتها كباب المبتدأ والخبر، والأمر نفسه بالنّسبة للجملة الفعليّة حيث سعى في دراسة جزئياتها مثل باب الفاعل وباب نائب الفاعل وباب المفعول وباب الحال....لغرض الوصول بالمتعلم إلى إدراك الكليات النّحويّة انطلاقا من الجزئيات؛ لأن هذه الطريقة تساعد المتعلم على التّرتيب الذهني لكونها طريقة قائمة على التّرابط بين الأبواب النّحويّة.

إضافة إلى الطريقة الاستقرائيّة اعتمد ابن مالك في ألفيته **طريقة القاعدة ثم الأمثلة(الطريقة القياسيّة)** بنسبة كبيرة، وهي طريقة مبنيّة على الاستنتاج بحيث ينتقل فيها الفكر من الحقائق العامة(القاعدة) إلى الحقائق الجزئيّة(الأمثلة)، وإن شئت قل من الكل إلى الجزء، والجدير بالذكر أن هذه الطريقة تنسجم مع طبيعة التّفكير الإنساني القائمة على التّدرج من الكليات إلى الجزئيات ومن الإجمال إلى التّفصيل، ومن أمثلة هذه الطريقة قول ابن مالك في باب المبتدأ : **وخبر المحصور قدِّمْ أبدا كما لنا إلا إتِّبَاع أحمدا**

فالشطر الأول من البيت يمثل القاعدة، والشطر الثاني عبارة عن مثال يوضح القاعدة. وهذه الطريقة هي الشائعة في أكثر المنظومات ومنها ألفيّة ابن مالك لأن كتب النّحو تتسم غالبا بتقديم القاعدة العامة ثم تتبعها الأمثلة التّي تسهم في توضيح القاعدة.

ومحصول القول فيما يتعلق بابن مالك وألفيته أنه كان « ذا ثقافة واسعة وأسلوب عربي أدبي سليم، مكنه ذلك من القدرة على استيعاب النّحو العربي بمسائله وقضاياه التّركيبيّة والتّصريفيّة إلى جانب الأمثلة والشواهد المتنوعة وصوغها في هيئة منظومة دون أن يفلت من الوزن أو القافيّة.. » [51].

هذا ما يتعلق بقدرة ابن مالك على النّظم، أما طبيعة منظومته من حيث الوضوحُ والغموضُ، وطبيعة القاعدة النّحويّة من حيث البساطة والتّعقيد فالغالب أن عنصر البساطة والوضوح يعد من قبيل القليل النّادر في ألفيّة ابن مالك [52].

ويظهر الغموض والتّعقيد في ألفيّة ابن مالك في النّقاط الآتيّة: [53] قصور كثير من أبيات الألفيّة عن تلبيّة حاجة المتعلم؛ نتيجة عدم ذكر النّاظم لكثير من المصطلحات النّحويّة وأمثلتها حينما يعرض لذكر قاعدة نحويّة والأمثلة على ذلك كثيرة في ألفيّة ابن مالك وغيرها من المنظومات ومن أمثلة غياب المصطلحات النّحويّة بسبب النّظم قول ابن مالك في الألفيّة: وجُرَّ بالفتحة ما لم ينصرف ما لم يضف أو يك بعد أل ردف

فالاسم الممنوع من الصرف مما تنوب فيه الحركة عن حركة، فيرفع بالضمة وينصب بالفتحة ويجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، فإذا أضيف أو وقع بعد الألف واللام جُرَّ بالكسرة.فنلاحظ بسبب النّظم غياب مصطلح النّيابة ونيابة الحركة عن الحركة(الفتحة عن الكسرة) في باب الممنوع من الصرف.

بل إننا لا نجد في المنظومات النّحويّة ومنها الألفيّة خاصة كثيرا من المصطلحات النّحويّة الشائعة والمتداولة عند المتأخرين مثل: العلامات الأصليّة

والعلامات الفرعيّة، الفعل المبني للمجهول، نائب الفاعل، لا النّافيّة للجنس، شبه الجملة، الأفعال الخمسة، الإعراب التّقديري....فإغفال ابن مالك لذكر هذه المصطلحات كان بسبب النّظم الذي اضطره إلى ذلك، ومن أمثلة ذلك قوله في بيان علامات الفعل:

بتـــا فعلـــت وأتـــت ويـــا افعلـــي ونـــــون أقـــبلن فعـــل ينجلـــي

فقد ذكر ابن مالك في هذا البيت العلامات المميزة للفعل عن الاسم والحرف وهي« تاء فعلت والمراد بها تاء الفاعل، وهي المضمومة للمتكلم، نحو فعلتُ والمفتوحة للمخاطب نحو تباركتَ، والمكسورة للمخاطبة نحو فعلتِ...وتاء أتت والمراد بها تاء التّأنيث الساكنة...وياء افعلي والمراد بها ياء الفاعلة وتلحق فعل الأمر نحو، نحو: اضربي والفعل المضارع نحو تضربين ولا تلحق الماضي....ونون أقبلنَّ والمراد بها نون التّوكيد خفيفة كانت أو ثقيلة ....فمعنى البيت ينجلي الفعل بتاء الفاعل، وتاء التّأنيث الساكنة، وياء الفاعلة ونون التّوكيد» [54].

فنلاحظ من خلال البيت السابق غياب المصطلحات المألوفة في كتب النّحو مثل: تاء المخاطب، وتاء الفاعل، وتاء المخاطبة، وتاء التّأنيث الساكنة، وياء الفاعلة ونون التّوكيد .والسبب في غياب هذه المصطلحات هو عدم سماح النّظم بظهورها ؛ لذلك اكتفى ابن مالك بالتّمثيل لها فحسب.وإن كان سيبويه قد صنع ذلك في كتابه حين مثل الاسم بقوله: رجل وفرس .لكن الفارق هنا أنه في عصر سيبويه لم تكن المصطلحات النّحويّة قد استقرت وتطورت تطورها المعهود بل كانت العبارة تطول عند سيبويه لغياب المصطلح؛ بدليل تلك العنوانات الطويلة لأبواب النّحو التّي وردت في الكتاب [55].

كما نلاحظ من خلال البيت السابق حضور التّعريف البنوي الشكلي في التّعريفات، وقد لجأ ابن مالك إلى هذا النّوع من التّعريف كثيرا في منظومته

2- غياب الأمثلة التّي توضح القاعدة: ومن أبرز الأبيات التّي يعتريها الغموض والتّعقيد بسبب غياب الأمثلة التّي توضح المراد من القاعدة قول ابن مالك في باب المعرب والمبني:

والاسم منه معرب ومبني لشبه من الحروف مدني

كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا والمعنوي في متى وفي هنا

وكنيابة عن الفعل بلا تأثر وكافتقار أصلا

فنلاحظ أن هذه الأبيات عبارة عن أحاجي وألغاز، لا يفهم معناها إلا إذا رجعنا إلى شرحها، والسبب في ذلك هو الإفراط في الاختصار من جهة، وعدم ذكر الأمثلة التّوضيحيّة من جهة أخرى.

3- صعوبة فهم كثير من أبيات الألفيّة على المتخصصين، فكيف بالمتعلمين المبتدئين، فكثير من أبيات الألفيّة تعد من قبيل الأحاجي والألغاز، ومن أمثلة الأبيات الملغزة قول ابن مالك في باب التّنازع:

وأظهر إن يكن ضمير خبرا لغير ما يطابق المفسرا

نحو أظن ويظنني أخا زيدا وعمروا أخوين في الرخا [56]

4- إتباعُ ابنِ مالك أسلوبَ الإيجاز والاختصار في ألفيته، وخصوصا في القسم الثاني منها، وهو قسم التّصريف فلم يذكر كثيرا من مسائل الصرف لذلك نجد محمد محي الدين عبد الحميد قد حرر تكملة في تصريف الأفعال في آخر تحقيقه لشرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك وقال في مقدمتها: «فهذه خلاصة موجزة فيما أغفله صاحب الخلاصة(الألفيّة) أو أجمل القول فيه إجمالا من تصريف الأفعال.. » [57].

هذه النّقاط التّي سبق ذكرها تبين مكمن الغموض والتّعقيد في ألفيّة ابن مالك خاصة، والمنظومات النّحويّة عامة ولعل الغموض الذي يوجد في ألفيّة ابن مالك هو ما دعا ابن هشام الأنصاري إلى تأليف كتابه أوضح المسالك على ألفيّة ابن مالك حيث قال في مقدمته: «إن كتاب الخلاصة الألفيّة في علم العربيّة كتاب صغر حجما، وغزر علما غير أنه لإفراط الإيجاز قد كاد يعد من الألغاز وقد أسعفت طالبيه بمختصر يدانيه وتوضيح يسايره ويباريه، أحل به ألفاظه، وأوضح معانيه... » [58]

ومن أوجه النّقد التّي يمكن أن توجه لمنظومة ابن مالك، وما شاكلها من منظومات مما يتعلق بالهدف من النّظم، والمنهج في الاستشهاد، وطبيعة بناء المنظومة اللغوي، ....ما يلي:

1- يتعذر على المتعلم وخصوصا المبتدئ أن يستفيد استفادة مباشرة من المنظومات النّحويّة دون المرور بما يوضح غامضها من الشروح الكثيرة التّي ألفت حولها، وكان ينبغي للمنظومات النّحويّة أن تكون وسيلة تعليميّة يستفيد منها المتعلم استفادة مباشرة

2- تركيز المنظومات النّحويّة على الحفظ والاستظهار [59]: لا يتجاوز هدف المنظومات النّحويّة عموما وألفيّة ابن مالك خصوصا الحفظ والاستظهار، ولم تكن ترمي إلى تدريب المتعلمين على الاستنباط والقدرة على التّفكير.بل إنها تحتاج إلى متعلم قادر على التّركيز والتّفكير.

3- عدم مقدرة النّاظم من بسط منهجه في الاستشهاد بسبب النّظم: ذكر المقري أن ابن مالك «كان أكثر ما يستشهد بالقرآن فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، وإن لم يكن فيه عدل إلى أشعار العرب» [60].

4- تتسم المنظومة النّحويّة بكثافة المادة النّحويّة من جهة ومن جهة أخرى فهي منظومات صغيرة الحجم، ويبدو لنا من ناحيّة تربويّة أن الاختصار في عرض

القواعد والشواهد والأمثلة مع شمول المنظومة النّحويّة وبخاصة ألفيّة ابن معط وابن مالك لأبواب النّحو والصرف، يعد عائقا في سبيل نجاح العمليّة التّعليميّة؛ إذ ينشأ عن الاختصار وكثافة المعلومات فساد التّعليم على حد تعبير ابن خلدون [61]؛ لذا فإن التّطويل مع التّبسيط أفيد تربويا من الاختصار مع التّعقيد.

5- ركزت ألفيّة ابن مالك على دراسة القواعد كأنها غايّة في ذاتها؛ مما نتج عنه انطواء النّحويين على أنفسهم كأن الغايّة من النّحو هي المعرفة النّظريّة بالقواعد، وليس ما يفيد في سلامة النّطق والكتابة، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النّحاة، والمهرة في صناعة العربيّة المحيطين علما بتلك القوانين، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذوي مودته أو شكوى ظلامة، أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود فيه على أساليب اللسان العربي» [62]

6- ما يؤخذ على المنظومات النّحويّة عموما، وألفيّة ابن مالك خصوصا خلوها من إيراد الحدود والتّعريفات للمصطلحات النّحويّة بسبب ضرورة النّظم ونعني بالتّعريفات التّعريف المنطقي والتّعريف الوظيفي، أما التّعريف البنوي الشكلي فقد سبقت الإشارة إلى أن ابن مالك كان كثيرا ما يلجأ إليه .وبسبب النّظم أيضا غالبا ما يلجأ النّاظمون إلى الاكتفاء بإيراد المصطلح يتبعه المثال.

على ضوء ما سبق ذكره من نقد على مستوى المبنى والمعنى للمنظومات النّحويّة عموما وألفيّة ابن مالك خصوصا؛ فإن أقصى ما يمكن أن توصف به ألفيّة ابن مالك بأنها نحو يلائم المتخصصين، كما أنها تعد في عمومها وسيلة غير ناجحة في ميدان التّعليم، فهي وإن كانت تعبر عن مدى تمكن أصحابها من النّظم وقدرتهم على جودة الأداء إلا أنها لم تثبت كفاءتها في مجال تعليم النّحو.

ومع كل هذا النّقد الموجه إلى المنظومات النّحويّة عموما وألفيّة ابن مالك خصوصا؛ فلا يعنى ذلك أنها عديمة الفائدة في العمليّة التّعليميّة، بل تظهر فائدتها في بعض الأبيات التّي يؤتى بها لغرض تثبيت القاعدة وترسيخها في ذهن المتعلم، وخصوصا الأبيات التّي يصعب حصرها إذا لم تكن في قالب من النّظم ومن أمثلة ذلك قول ابن مالك في جمع التّكسير جمع قلة:

أَفعِلَـــةٌ أَفعُـــلٌ ثـــم فِعلَـــه ثُمَّـــتَ أَفعَـــالُ جمـــوعُ قلـــه

وجموع التّكسير جمع كثرة فيه سبعة عشر وزنا، مجموعة في قول النّاظم:

في السُّـــفُن الشُّـــهْب البُغَـــاةُ صُـــورُ مرضـــى القلـــوب والبحـــارُ عِـــبرُ

غِلمـــانهم للأشـــقياء عَمَلـــه قُطَّـــاع قُضْـــبان لأجـــل الفِيَلَـــة

والعقـــلاء شـــرُّد ومنتهـــى جمـــوعهم في السـبع والعشـرانتهى [63]

ومن هذا القبيل استشهاد الدكتور تمام حسان ببعض أبيات الألفيّة لأغراض متعددة، ومن ذلك ما ذكره عن خلاصة قواعد النّحو العربي وظواهره من النّاحيّة التّنظيريّة؛ وأنه اتسم في عمومه بأنه نحو تعليمي معياري لا نحو علمي وصفي، فقال «ولعل أحسن تلخيص لموقف النّحو العربي من هذه النّاحيّة المعياريّة هو قول محمد ابن مالك في ألفيته:

فما أبيحَ افعلْ ودَعْ ما لم يُبَحْ [64]

وكذلك استشهاده على ظاهرة أمن اللبس التّي هي الغايّة القصوى من الاستعمال اللغوي، وما تعنيه هذه الظاهرة من ضرورة وجود قيم خلافيّة تميز المعاني والمباني؛ حيث قال مستشهداً بابن مالك: " فإنه ليمكن الزعم أن كل نظام لغوي ينبني أساساً على مجموعة من القيم الخلافيّة التّي بدونها لا يكون اللبس مأموناً ولا الكلام مفهوماً .وقد كان ابن مالك محقاً حين لخص هذه القضيّة في شطرة واحدة من ألفيته تقول: وإن بشكل خِيفَ لبْسٌ يُجْتَنَبْ) [65]

وفي سياق الحديث عن أمن اللبس في المعنى، وأنه كما يكون مسلكا إلى الطرد المطلق، يكون شرطا لطرد غير مطلق إذ تنشأ معه قاعدة مشروطة بهم مخالفة للقاعدة العامة راسخة القدم بإزائها. استشهد الدكتور تمام بعشرة أبيات من الألفيّة في كتابه الخلاصة النّحويّة [66].

الخاتمة: لقد أسفرت القراءة التّحليليّة النّقديّة لكل من كتاب الواضح في علم العربيّة للزبيدي، وألفيّة ابن مالك إلى الكشف عن طبيعة وخصائص الكتابين؛ فقد امتاز الأول بالوضوح في المعنى، وعدم التّعقيد في المبنى؛ مما أدى إلى تحقيق الهدف من تأليفه وهو تقريب النّحو من المتعلمين، ومن أبرز ملامح الوضوح في كتاب الواضح في علم العربيّة ما يلي : (- تبنيه للطريقة الحواريّة في عرض المادة النّحويّة على المتعلم.- تبنيه للمنهج الوصفي في عرض أبواب النّحو وابتعاده عن التّعليل والتّفسير –طريقته في التّحليل والإعراب، حيث ابتعد عن الإعراب الصناعي وركز على العرض الوظيفي للعناصر النّحويّة –طبيعة حدوده وتعريفاته فقد لجأ إلى التّعريف بالمثال الوظيفي الذي يعتمد على الوصف وكثرة التّمثيل، وابتعد عن الحد الأرسطي المنطقي –تركيزه على الشواهد النّثريّة الحيّة)، وأما ألفيّة ابن مالك الأندلسي فهي تدل على قدرة ابن مالك على النّظم، أما طبيعة منظومته من حيث الوضوحُ والغموضُ، وطبيعة القاعدة النّحويّة من حيث البساطة والتّعقيد فالغالب أن عنصر البساطة والوضوح يعد من قبيل القليل النّادر في ألفيّة ابن مالك.وقد سبق ذكر أهم نقاط الغموض والتّعقيد في الألفيّة.لذلك نستطيع أن نقول إنَّ النّحو بحاجة إلى العرض الواضح على المتعلم، هذا العرض الذي رأينا أهم ملامحه في كتاب الواضح للزبيدي، وفي المقابل فإن الغموض والتّعقيد من أهم الأسباب التّي تقف عائقا في سبيل تعلم النّحو على غرار ما رأيناه في ألفيّة ابن مالك.

قائمة المصادر و المراجع:

1- أبو العباس أحمد بن يحى ثعلب،، مجالس ثعلب، ت عبد السلام هارون ج1، ط2، دار المعارف، مصر.

2- أبو بكر الزبيدي، كتاب الواضح، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان للنشر والتّوزيع، الأردن، ط2، 2011.

3- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت.

4- الزبيدي، كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنيّة والزيادات على ما أورده فيه مهذبا، اعتناء المستشرق الإيطالي اغناطيوس كويدي، طبع بروما سنة 1890.

5- ألفيّة ابن مالك، ابن مالك، تح سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج للنشر والتّوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة.

6- ألفيّة ابن مالك شرح ابن عقيل، تح محمد محيي الدين عبد الحميد،، مكتبة التّراث، القاهرة، 1426، 2005، ج1.

7- ألفيّة ابن مالك شرح ابن عقيل، ج2.

8- ألفيّة ابن مالك مع احمرار ابن بونا في علوم النّحو والصرف، شرح المختار ابن بونا الجكني الشنقيطي، منشورات محمد محفوظ بن أحمد، انواكشوط، موريتانيا، ط1، 1424 2003 .

9- ابن معطي الفصول الخمسون لابن معطي، تحقيق و دراسة محمود محمد الطناحي، عيسى البابي الحلبى وشركاه .

10- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1426، 2005 .

11- ابن جني، المنصف شرح تصريف المازني، ت إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، وزارة المعارف، مصر ط1، 1954 .

12- ابن جني التّصريف الملوكي، تح ديزيره سقال، دار الفكر العربي بيروت، ط1 1998.

13- ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ج1.

14- رسائل ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم، ج4، تح الدكتور إحسان عباس المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1983.

15- رسائل ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم، ج4، تح الدكتور إحسان عباس المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1983

16- تمام حسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994.

17- تمام حسان، الخلاصة النّحويّة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1420ه، 2000م.

18- الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ج3، ط1، 1979، مكتبة الخانجي، مصر.

19- في الدروس النّحويّة، حفني ناصف وزملاؤه، دار إيلاف الدوليّة، الكويت، ط1 2006، الجزء الثالث.

20- خلف الأحمر، مقدمة في النّحو، تحقيق عز الدين التّنوخي، مطبوعات مديريّة إحياء التّراث القديم، دمشق، 1381- 1961

21- السيوطي، بغيّة الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط1، 1384ه، 1964.

22- شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، دار المعارف، ط7، مصر.

23- صادق فوزي دباس، جهود علماء العربيّة في تيسير النّحو وتجديده، مجلة القادسيّة في الأداب والعلوم التّربويّة، جامعة القادسيّة، العراق العددان 1- 2، المجلد7 2008.

24- عبد الرحمن الحاج صالح، النّحو العربي ومنطق أرسطو، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة

25- عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النّهوض بمستوى مدرسي اللغة العربيّة، مجلة اللسانيات، العدد الرابع، معهد العلوم اللسانيّة والصوتيّة الجزائر 1973 - 1974 .

26- عبدة الراجحي، علم اللغة التّطبيقي وتعليم العربيّة، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، 1995 .

27- عبد الكريم خليفة، تيسير العربيّة بين القديم والحديث، منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني، عمان، الأردن، ط1، 1407، 1986.

28- عبد الله علي محمد الهنادة، ألفيّة ابن مالك تحليل ونقد، رسالة ماجستير في النّحو والصرف، مطبوعة، كليّة اللغة العربيّة، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السعوديّة إشراف الدكتور أحمد محمد عبد الدايم، 1409، 1989.

29- عباس حسن، النّحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغويّة المتجددة دار المعارف بمصر، ط3، ج1.

30- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربيّة نماذج تركيبيّة ودلاليّة، دار توبقال للنشر، المغرب.

31- محمد إبراهيم عبادة، النّحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.

32- محمد صاري، النّحو التّعليمي في التّراث- قراءة نقديّة- ، بحث مخطوط، جامعة الملك سعود، كليّة الآداب، قسم اللغة العربيّة، 1429، 2008 .

33- محمود عبد الكريم نجيب، ابن مالك الطائي ناظم علوم العربيّة، مجلة التّراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 98، جمادى الأولى 1426، 2005.

34- ممدوح عبد الرحمن، المنظومة النّحويّة دراسة تحليليّة، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، مصر، 2000.

35- محمد صاري، المصطلح اللساني العربي الحديث من التّأسيس إلى التّدريس، مجلة الخطاب الثقافي، قسم اللغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربيّة السعوديّة.

36- محمد صاري، قراءة في الكتابة اللسانيّة العربيّة الحديثة، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، العدد 4، شوال، 1429، 2008.

37- محمد المختار ولد اباه، تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط2، 1429، 2008.

38- نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة ل محمد الطنطاوي، ط2، دار المعارف، مصر.

الهوامش

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، النّحو العربي ومنطق أرسطو، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1 منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة ص: 49.

[2] يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن كتاب سيبويه هو« أقدم كتاب في النّحو وصل إلينا، من حسن الحظ.والغريب أو ما يبدو أنه غريب أن هذا الكتاب على الرغم من قدمه فإنه يحتوي على جميع ما عرف بعد سيبويه من أبواب النّحو والصرف وجميع ما اشتهر بعده من مسائله فهو عمل ناضج تمام النّضج وبما أنه لم يسبقه- على أصح الأقوال- أي كتاب يماثله في غزارة المادة العلميّة والدقة العلميّة المتناهيّة فكأنه خرج من العدم لظاهر أمره وليس الأمر كذلك» عبد الرحمن الحاج صالح الجملة في كتاب سيبويه، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة ص: 290.

[3] شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، دار المعارف، ط7، مصر، ص: 95.

[4] أبو العباس أحمد بن يحى ثعلب، مجالس ثعلب، ت عبد السلام هارون ج1، ط2، دار المعارف، مصر ص: 23. من المقدمة

[5] يميز ابن حزم في بعض ما كتبه بين دراسة النّحو لغرض المخاطبة، وما يحتاجه المرء في قراءة الكتب المجموعة فقط، وبين دراسته لمن أراد أن يجعله معاشا، فقال في رسالة مراتب العلوم: «...وأما التّعمق في علم النّحو، ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم، وإنما هي أكاذيب في وجه الشغل بما هذه صفته.وأما الغرض من هذا العلم فهي المخاطبة، وما بالمرء حاجة إليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط.فمن يزيد في إحكام هذا العلم إلى إحكام كتاب سيبويه فحسن، إلا أن الاشتغال بغير هذا أولى وأفضل لأنه لا منفعة للتزيد على المقدار الذي ذكرنا، إلى لمن أراد أن يجعله معاشا.فهذا وجه فاضل؛ لأنه باب من العلم على كل حال.انظر رسائل ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم، ج4، تح الدكتور إحسان عباس المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر بيروت، ط1، 1983، ص: 65.

[6] خلف الأحمر، مقدمة في النّحو، تحقيق عز الدين التّنوخي، مطبوعات مديريّة إحياء التّراث القديم دمشق، 1381- 1961، ص: 34.

[7] صادق فوزي دباس، جهود علماء العربيّة في تيسير النّحو وتجديده، مجلة القادسيّة في الأداب والعلوم التّربويّة، جامعة القادسيّة، العراق العددان 1- 2، المجلد7، 2008، ص: 87.

[8] انظر تفصيل هذه النّقطة في كتاب: نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة ل محمد الطنطاوي، ط2، دار المعارف، مصر، ص: 235، 243.

[9] - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1426، 2005، ص: 484، 485.

[10] أبو بكر الزبيدي، كتاب الواضح، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان للنشر والتّوزيع، الأردن، ط2، 2011 .تناول كتاب الواضح للزبيدي عدد من المحققين، لا يهمنا ذكرهم في هذا المقام؛ لأننا معنيون بمحتوى الكتاب وقراءة ما فيه قراءة وصفيّة تحليليّة، ويكفينا أن نعتمد على ما وقع بأيدينا من تلك التّحقيقات، وهو كتاب الواضح للزبيدي بتحقيق الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربيّة الأردني.

[11] انظر هذه المراجع في: كتاب الواضح للزبيدي، ص: 21.

[12] رسائل ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم، ج4، تح الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1983 ص64، 65.

[13] المرجع نفسه، ص: 64، 65.

[14] انظر تفصيل الأبواب النّحويّة في كتاب فهرس كتاب الواضح، ص: 325، 333.

[15] الزبيدي، كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنيّة والزيادات على ما أورده فيه مهذبا، اعتناء المستشرق الإيطالي اغناطيوس كويدي، طبع بروما سنة 1890، ص: 1.

[16] محمد إبراهيم عبادة، النّحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ص: 238.

[17] عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النّهوض بمستوى مدرسي اللغة العربيّة، مجلة اللسانيات، العدد الرابع، معهد العلوم اللسانيّة والصوتيّة، الجزائر 1973 - 1974 .ص: 63.

[18] عبده الراجحي، علم اللغة التّطبيقي وتعليم العربيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، 1995، ص: 61، 64.

[19] أبو بكر الزبيدي، الواضح في علم العربيّة، ص: 49، 50.

[20] المرجع نفسه، ص: 23.

[21] انظر على سبيل المثال الأبواب الآتيّة: باب صفة إعراب الكلام، باب ذكر الأفعال التّي لا يتعدى فاعلها إلى مفعول، باب الفعل الذي يتعدى فاعله إلى مفعول واحد، باب المفعول الذي لم يسم فاعله باب الابتداء وخبره، باب الحال، انظر عدد صفحات الأبواب على التّرتيب المذكور: 47، 50، 52، 57 70، 93....

[22] الواضح، أبو بكر الزبيدي، ص: 47.

[23] المرجع السابق، ص: 47، 48.

[24] عني الزبيدي في كتابه الواضح بإيراد الأمثلة الحيّة المأخوذة من لغة التّخاطب اليومي، ومن ذلك على سبيل المثال الأمثلة التّي ساقها في باب أدوات الخفض: خرجت من الدار إلى المسجد، حدثت بالخبر عن أخيك، جلست في الدار على الكرسي، قبضت بعض المال، أبصرت مثل أخيك، ....انظر

المرجع السابق، ص: 59، 60.وقد استغنى الزبيدي عن ذكر الشواهد بالأمثلة التّي من شأنها أن توضح القاعدة في ذهن المتعلم، وكل ما جاء في كتابه من الشواهد بيتان من الشعر فقط، ذكرهما الزبيدي في معرض بيان الشذوذ عن القاعدة لضرورة الشعر، أولهما: عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب.

وثانيهما: رسم عفا ما قد امحى قد كان من طول البلا أن يمصحا وقد ذكر في الواضح الشطر الأخير من هذا البيت لأنه موضع الاستدلال، أما الشطر الأول فقد أورده المحقق، انظر موضع الاستدلال بالبيتين في كتاب الواضح، ص: 149، 150.

[25] - محمد صاري، النّحو التّعليمي في التّراث قراءة نقديّة، ص: 36.

[26] - عبد الكريم خليفة، تيسير العربيّة بين القديم والحديث، منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني عمان، الأردن، ط1، 1407، 1986، ص: 52.

[27] - محمد صاري، النّحو التّعليمي في التّراث- قراءة نقديّة- ، بحث مخطوط، جامعة الملك سعود، كليّة الآداب، قسم اللغة العربيّة، 1429، 2008 ص: 34.

[28] - أبو بكر الزبيدي، الواضح في علم العربيّة، ص: 50، 51.

[29] - محمد إبراهيم عبادة، النّحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009ص، ص: 283.

[30] - أبو بكر الزبيدي، الواضح في علم العربيّة، ص: 166.

[31] - النّحو التّعليمي في التّراث قراءة نقديّة، محمد صاري، ص: 35.

[32] - محمد إبراهيم عبادة النّحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، 239

[33] أبو بكر الزبيدي، الواضح في علم العربيّة، ص: 59، 60.

[34] المرجع السابق، ص: 115، 116.

[35] - المرجع نفسه،، ص: 57.

[36] - المرجع نفسه، ص: 57.

[37] - المرجع نفسه، ص: 25.

[38] انظر تفصيل هذه النّقاط في المرجع الآتي: النّحو التّعليمي في التّراث – قراءة نقديّة – محمد صاري، جامعة الملك سعود، كليّة الآداب، قسم اللغة العربيّة، 1429ه/2008م، ص: 33- 37.

[39] تسميته لها بالخلاصة مأخوذ من قوله في آخرها: وما بجمعه عنيت قد كمل نظما على جل المهمات اشتمل

أحصى من الكافيّة الخلاصة كما اقتضى غنى بلا خصاصة.

وقد اشتهرت منظومة ابن مالك الخلاصة بألفيّة ابن مالك أو بالألفيّة؛ لأن ابن مالك قد نظمها في ألف بيت من بحر الرجز، وقد أشار إلى ذلك في أولها بقوله: وأستعين الله في ألفيّة مقاصد النّحو بها محويّة

[40] محمود عبد الكريم نجيب، ابن مالك الطائي ناظم علوم العربيّة، مجلة التّراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 98، جمادى الأولى 1426، 2005، ص: 218.

[41] هذا البيت يدل على أن ابن مالك قد اطلع على ألفيّة ابن معطي، وأراد أن ينسج على منوالها «ومما لاشك فيه أن ابن مالك قد نظر كثيرا في ألفيّة ابن معطي، وقد ثبت أنه كان يقرئها لتلاميذه.انظر: الفصول الخمسون لابن معطي، تحقيق و دراسة محمود محمد الطناحي، عيسى البابي الحلبى وشركاه، ص : 46

[42] ألفيّة ابن مالك، ابن مالك، تح سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج للنشر والتّوزيع الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ص: 28.

[43] عبد الله علي محمد الهنادة، ألفيّة ابن مالك تحليل ونقد، رسالة ماجستير في النّحو والصرف مطبوعة، كليّة اللغة العربيّة، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، إشراف الدكتور أحمد محمد عبد الدايم، 1409، 1989، ص: 46.

[44] ألفيّة ابن مالك مع احمرار ابن بونا في علوم النّحو والصرف، شرح المختار ابن بونا الجكني الشنقيطي، منشورات محمد محفوظ بن أحمد، انواكشوط، موريتانيا، ط1، 1424، 2003، ص8 .

[45] الفصول الخمسون لابن معطي، تحقيق محمد محمود الطناحي، ص: 47.

[46] عباس حسن، النّحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغويّة المتجددة، دار المعارف بمصر ط3، ج1، ص: 11.

أما المعارضون لهذا التّرتيب فيعتقدون أن طريقة ابن مالك التّي ظلت المثال الذي يحتذى إن لاءمت المتخصصين والنّحاة فإنها لا تلائم طلاب مراحل التّعليم العام ؛ لأن ترتيب الموضوعات بالشكل الذي هو عليه لا يشير إلى مبدأ التّدرج في عرض المادة من الأقل إلى الأكثر صعوبة.فتدرج الموضوعات النّحويّة في الألفيّة لا يشير إلى حركة تصاعديّة نحو الأعلى، أي من البسيط إلى المعقد، ومن العام إلى الخاص، انظر: محمد صاري، النّحو التّعليمي في التّراث قراءة نقديّة، ص: 42.الهامش

[47] مما ساعد على انتشار وذيوع ألفيّة ابن مالك مكانته العلميّة ؛ فهو إمام محقق في كثير من العلوم وهذا بدوره يجلب الشهرة لكتبه، فقد كان« إماما في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها، وأما النّحو التّصريف فكان بحرا لا يجارى، وحبرا لا يبارى، وأما أشعار العرب التّي يستشهد بها على اللغة والنّحو فكانت الأئمة الأعلام يتحيرون فيه ويتعجبون من أين يأتي بها....وكان أمة في الاطلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن

فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب، وكان كثير العبادة، كثير النّوافل، حسن السمت، كامل العقل، انظر: السيوطي، بغيّة الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط1 1384ه، 1964،، ص: 130، 134.

[48] من منهج ابن مالك الذي سار عليه في ألفيته اعتماد القياس وهو «عنده عمل تطبيقي، لا يستلزم التّعليل فحينما تقرر القاعدة العامة، ويتضح تمثيلها في التّعبير اللغوي، ينبه ابن مالك على جواز القياس على نظير هذا التّعبير فكل نكرة موصوفة جاز الابتداء بها» .قال ابن مالك في ألفيته: وليقس ما لم يقل....وكما اعتمد ابن مالك القياس منهجا فإنه اعتمد على التّعليل ويلاحظ في تعليل ابن مالك أنه «لم يتكلف استخراج علل بعيدة للقواعد النّحويّة، فهو في هذا المجال أقرب إلى المنهج اللغوي، وإلى السليقة العربيّة، وكان أكثر ما يعلل به أحكامه إفادة الخطاب والابتعاد عن اللبس في المعنى، والتّناسب في الألفاظ، انظر: محمد المختار ولد اباه، تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 1429، 2008، ص: 316 .318

[49] ابن جني، المنصف شرح تصريف المازني، ت إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، وزارة المعارف، مصر ط1 1954، ص: 5، 4 .مثلما أشار ابن جني في النّص السابق إلى علة تقديم أبواب الصرف على أبواب النّحو؛ فإنه يشير من ناحيّة أخرى إلى أهميّة الربط بين مسائل الصرف والنّحو وأن الأول يعد بمثابة التّمهيد للثاني على حد قوله: وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النّحو أن يبدأ بمعرفة التّصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حالتّه المتنقلة، ويؤكد ابن جني على هذه الفكرة التّي مفادها اتصال الصرف بالنّحو في كتابه الخصائص حينما عرض لتعريف النّحو بأنه انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتّثنيّة والجمع والتّصغير والتّكسير والإضافة والنّسب والتّركيب وغير ذلك...، ويزيد هذه الفكرة توكيدا في كتابه التّصريف الملوكي عند تعريفه لمعنى الصرف بقوله: معنى التّصريف هو أن تأتي إلى الحروف الأصول..فتتصرف فيها بزيادة حرف، أو تحريف بضرب من ضروب التّغيير...نحو قولك: ضرب، فهذا مثال الماضي؛ فإن أردت المضارع قلت: يضرب، أو اسم الفاعل قلت: ضارب، أو المفعول قلت مضروب، أو المصدر قلت ضربا.....وعلى هذا عامة التّصريف في هذا النّحو من كلام العرب؛ فمعنى التّصريف هو ما أريناك من التّلاعب بالحروف الأصول لما **يراد فيها من المعاني المفادة منها**...ابن جني التّصريف الملوكي، تح ديزيره سقال، دار الفكر العربي بيروت، ط1، 1998، ص: 12، 13 .فالتّصريف عند ابن جني يشمل أمرين: الأول: التّغيير الذي يعتري الحروف الأصول للكلمة، والثاني: أن الهدف من هذا التّغيير هو مراعاة المعاني النّحويّة المستفادة من هذا التّغيير.

[50] ممدوح عبد الرحمن، المنظومة النّحويّة دراسة تحليليّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر، 2000، ص: 265 .

[51] ممدوح عبد الرحمن، المنظومة النّحويّة دراسة تحليليّة، ص: 48.

[52] لا يعني هذا الحكم أن ألفيّة ابن مالك تخلو من الجانب التّربوي التّعليمي، بل إننا نجد فيها هذا الجانب بصور مختلفة منها: اعتماده على التّمثيل في بيان المصطلحات النّحويّة ؛ لأن المثال من شأنه أن يوضح القاعدة، ويقربها أكثر من ذهن المتعلم . ومن ذلك قوله في باب الكلام وما يتألف منه : كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف والكلم، ومنها تنويعه في طريقة عرض القاعدة النّحويّة، حيث اعتمد على طريقة القاعدة ثم الأمثلة واعتمد طريقة الأمثلة ثم القاعدة، وتعرف بالطريقة الاستقرائيّة، والإكثار من الأمثلة على حساب الشواهد- والتّنويع في ذكر الأمثلة - والاقتباس من القرآن الكريم، وحرصه على أن تكون منظومته حاضرة في ذهن المتعلم؛ وذلك باعتماده الإحالة إلى قواعد نحويّة سابقة، ومن ذلك قوله في باب «إن» وأخواتها : لإنَّ أَنَّ ليتَ لكنَّ لعلْ كأنَّ عكس ما لكان من عَمَل

[53] تشترك معظم المنظومات النّحويّة في هذه النّقاط.

[54] ألفيّة ابن مالك شرح ابن عقيل، تح محمد محيي الدين عبد الحميد،، مكتبة التّراث، القاهرة، 1426، 2005، ج1،، ص: 21، 22.

[55] يستخدم سيبويه في كتابه أحيانا المصطلح العبارة، ومن ذلك قوله: هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول، وهذا باب الفاعل الذي لم يتعد فعله إلى مفعول، وهذا باب ما يعمل عمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكنه، وهذا باب الفاعلَين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل يفاعله مثل الذي يفعله به، وهذا باب الأفعال التّي تستعمل وتلغى...، وردت هذه الأبواب في الجزء الأول من الكتاب في الصفحات الآتيّة: 34، 33، 72، 73، 118 .فهذه المصطلحات الواردة في الكتاب وغيرها تمثل مرحلة التّوصيف، وكان للمدارسة والتّعليم أثر واضح في اختزال ظاهرة الطول المصطلحي عندما تحول البحث النّحوي من التّوصيف إلى التّدريس، فاستقرت العبارات السابقة على مصطلحات بديلة موجزة لا تزال تستعمل إلى يومنا هذا، فقالوا: اللازم، والمتعدي، وعمل المشتقات، والتّنازع والاشتغال، والعمل والإلغاء؛ لأن الجانب التّعليمي يحتاج إلى الاختصار.انظر: محمد صاري، المصطلح اللساني العربي الحديث من التّأسيس إلى التّدريس، مجلة الخطاب الثقافي، قسم اللغة العربيّة وآدابها كليّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ص: 46 .ولكن مع وجود هذه المصطلحات البديلة لم يستطع ابن مالك توظيفها بسبب ضرورة النّظم.

[56] والطلبة الموريتانيون يسمون هذا البيت ببيت الفرس، «ويقال إن أحد الطلبة يوما ركب على فرس وقال: سأعطي هذا الفرس لمن استطاع أن يفسر لي معنى هذا البيت....ومن عادة التّلاميذ أن يقولوا إن

الطالب إذا ركب الفرس واكتحل وأخذ الهراوة فقد عرف النّحو.وركوب الفرس يعنى فهمه لباب التّنازع، أما الاكتحال فهو عبارة عن تمكنه من أحكام أفعل التّفضيل ؛ لأن في هذا الباب بيتا يسمى ببيت الكحل....أما أخذ الهرواة فيدل عندهم على معرفة ما طرأ على جمع هراوة من إبدال و إعلال حيث إنها انتقلت من هرائي على وزن قلائد إلى هراوا مرورا بهرائِي ثم هرائَي ثم هراءً وأخيرا هراوا لقول ابن مالك: وفي مثل هراوة جعل واوا.....ولكل من هذه التّغييرات قواعدها ونصوصها الخاصة بها انظر: محمد المختار ولد اباه، تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب، ص: 444، 445.

[57] ألفيّة ابن مالك شرح ابن عقيل، ج2، ص: 208 مما يلاحظ على متن الألفيّة حرص مؤلفها على حشو مجموعة من الألفاظ الدالة على الحكم في بيت واحد، بحيث لو أنها نثرت لاحتاج التّعبير عنها عدة أسطر مثل قوله في التّمثيل لأنواع البدل:

كزره خالدا وقبله اليدا واعرفه حقه وخذ نبلا مدى .

[58] ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ج1، ص: 30، 31.

[59] يعد الحفظ والاستظهار من أهم الملامح التّعليميّة التّي اعتمد عليها في تعلم اللغات قديما وحديثا سواء عند العرب أو غيرهم كاليونان والرومان....وتظهر فائدة الحفظ والاستظهار في تنميّة مهارة القراءة لدى المتعلم، ولكنه في المقابل يؤدي إلى إهمال بقيّة المهارات اللغويّة الأخرى التّي يجب على المتعلم أن يتمكن منها(مهارة الاستماع، والحديث والكتابة)، إهمال مهارات ذهنيّة كالاستنباط والتّفكير والفهم..... وقد بين الجاحظ الطريقة التّي يراها أمثل في التّعليم، وهي التّي تجمع بين الاستنباط والتّفكير مع عدم إهمال الحفظ، فيقول: «وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتّفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه، وإغفال العقل من التّمييز....ولأن مستعمل الحفظ لا يكون إلا مقلدا، والاستنباط هو الذي يفضي إلى برد اليقين وعز الثقة.والقضيّة الصحيحة والحكم المحمود : أنه متى أدام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط، ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ، وإن كان الحفظ أشرف منزلة منه.ومتى أهمل النّظر لم تسرع إليه المعاني، ومتى أهمل الحفظ لم تعلق بقلبه وقل مكثها في صدره انظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ج3، ط1، 1979 مكتبة الخانجي، مصر، ص: 29، 30.

[60] أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، ص: 422. فأصول الاستشهاد عند ابن مالك القرآن ويليه الحديث الشريف ثم أشعار العرب، ولكن طبيعة المنظومة النّحويّة لم تسعف ابن مالك في عرض أفكاره الخاصة وخصوصا ما تعلق بالاستشهاد بالحديث النّبوي.وقد عاب ابن خلدون من يعكف على كتب المتأخرين العاريّة عن

الشواهد من كلام العرب وأشعارهم لأنهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة في اللسان العربي وهم أبعد النّاس عنه، انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ص: 497.

[61] عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا ذكر فيه❖أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتّعليم❖ حيث قال: « ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن.وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم. وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه، وأصول الفقه، وابن مالك في العربيّة....وهو فساد في التّعليم، وفيه إخلال بالتّحصيل، وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد، وهو من سوء التّعليم....ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها .لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت.ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التّعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التّي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التّكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التّامة.وإذا اقتصر على التّكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبا بقطعهم عن تحصيل الملكات النّافعة وتمكنها، : ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ص: 471، 472.

[62] المرجع نفسه، ص: 496.

[63] وردت هذه الأبيات في الدروس النّحويّة، حفني ناصف وزملاؤه، دار إيلاف الدوليّة، الكويت، ط1 2006، الجزء الثالث، ص: 216، 217.

[64] تمام حسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994، ص: 13 .علق تمام حسان على كلام ابن مالك بقوله: ولقد تعلقت الإباحة وعدمها بقواعد معياريّة تفرض نفسها على الاستعمال والمسموع ...ومن ثم أعملوا فيما خالف قواعدهم من النّصوص حيل التّخريج والتّأويل والتّعليل.... وفي إحالة تمام حسان إلى ألفيّة ابن مالك، وهو من النّحاة المتأخرين ثم تعميمه الحكم على التّراث النّحوي كله مخالفة منهجيّة ؛ لأن كثيرا من الدارسين يتحفظون على هذا النّوع من المصادر التّعليميّة المتأخرة، فقول ابن مالك لا يعد حجة على النّحو والنّحاة، ثم إن تمام حسان شأنه شأن الوصفيين يرفض العلة، ونظريّة العامل، والإعراب التّقديري، وعددا من الأصول والمفاهيم الموجودة في التّراث، ويرفض الخروج من شيء ملاحظ إلى شيء مجرد، بدعوى أن هذه الأشياء في نظره ليست من العلم، وأن العلم يجب أن يكتفي بالملاحظة الخارجيّة، والتّساؤل عن الكيف، ولا يتعدى ذلك إلى

التّساؤل عن علة وجود الظاهرة، فإذا تعدى سؤال اللغوي البحث عن كيف تتم الظاهرة؟إلى لماذا تتم؟لم يعد هذا في زعمه منهجا علميا.و لا شك أن النّظريّة العلميّة يجب أن ترقى إلى مستوى تفسيري، و لا تكتفي بالملاحظة الخارجيّة في جميع الأحوال، بل تبحث في الكيف وفيما وراء الكيف .انظر المرجعين الآتيين:

عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربيّة نماذج تركيبيّة ودلاليّة، دار توبقال للنشر المغرب، ص: 58.

محمد صاري، قراءة في الكتابة اللسانيّة العربيّة الحديثة، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها العدد 4، شوال، 1429، 2008، ص: 187.

[65] تمام حسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص: 34.

[66] تمام حسان، الخلاصة النّحويّة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1420ه، 2000م، ص: 18.